مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(تيطس ٣: ٨–١٥)

يا ولدي تيطُسُ صادقةٌ هي الكلمةُ وإيّاها أريدُ أن تقرِّرَ حتى يهتمَّ الذين آمنوا باللهِ في القيامِ بالأعمالِ الحسنةِ. فهذه هي الأعمالُ الحسنةُ والنافعة* أمَّا المباحثاتُ الهذيانيَّةُ والأنسابُ والخصوماتُ والمماحكاتُ الناموسيَّةِ فاجتَنبها. فإنَّها غيرُ نافعة وباطلةٌ* ورجلِ البِدعةِ بعدَ الإنذارِ مرَّةً وأُخرى أعرِضْ عنهُ* عالِماً أنَّ مَن هو كذلك قدِ اعتَسَفَ وهو في الخطيئةِ يقضي بنفسه على نفسهِ* ومتى أرسلتُ إليكَ أرتِماسَ أو تيخيكوس فبادِرْ أن تأتيَني إلى نيكوبولِسَ لأني قد عزمتُ أن أُشتِّيَ هناك* أمَّا زيناسُ معلِّمُ الناموسِ وأبُلُّوسُ فاجتهد في تشييعهما متأهّبين لئلاّ يُعوِزُهما شيءٌ* وليتعلَّم ذوونا أن يقوموا بالأعمالِ الصالحةِ للحاجاتِ الضروريَّة حتى لا يكونوا غيرَ مثمرين* يسلِّمُ عليكَ جميعُ الذينَ معي* سلِّمْ على

المجمع المسكوني السابع

لقد رتبت الكنيسة المقدسة أن يُقام كل عام في الأحد الذي يقع بين الحادي عشر والسابع عشر من تشرين الأول تذكار الآباء الثلاثمئة وسبعة وستين القديسين الذين اجتمعوا في المجمع المسكوني السابع عام ٧٨٧ (بين ٢٤ أيلول و١٣ تشرين الأول) في مدينة نيقية في تركيا ودافعوا عن عقيدة إكرام الأيقونات ضد محاربيها.

لقد انعقد هذا المجمع رداً على محاربي الأيقونات الذين شنوا حملة ضد الأيقونات لأكثر من مئة عام محاولين تحطيمها ومانعين إكرامها وتعليقها في الكنائس والبيوت ومدّعين انها عبادة أوثان.

ابتدأت هذه الحملة التي سُميت حرب الأيقونات عام ٧٢٥ أو ٧٢٦ مع مرسوم الإمبراطور لاون الثالث الأيصوري المدعوم من بعض الأساقفة الهراطقة والذي منع السجود للأيقونات وأمر برفعها إلى أماكن عالية لكي لا يستطيع المؤمنون الوصول إليها. بعدها أمر في العام ٧٢٧ بإزالة أيقونة للرب يسوع مكرَّمة عند الشعب القسطنطيني.

فرض الجيش بالقوة المرسوم الإمبراطوري فيما عارضته سلمياً الكنيسة وفي مقدمتها بطريرك القسطنطينية جرمانوس. جدَّد الإمبراطور قراره عام ٧٣٠ وأخلى بالقوة الكنائس من الأيقونات وطُلي بالكلس ما كان مرسوماً على الجدران وأُتلفت الحلل الكهنوتية المزيّنة بالأيقونات وأُحرقت بقايا القديسين، وأزيح البطريرك جرمانوس وأُقيم مكانه أنسطاسيوس محارب الأيقونات.

العدد ٢٠٠٦/٤٢
الأحد ١٥ تشرين الأول
أحد آباء المجمع المسكوني السابع
تذكار القديس الشهيد لوكيانوس
قس كنيسة انطاكية
اللحن الأول
إنجيل السَحَرْ السابع

تصاعد الإضطهاد مع قسطنطين الخامس ابن لاون (٧٤١–٧٧٥)، خاصة بعد محاولة صهره ارتافزوس الفاشلة لخلعه من السلطة. عام ٧٥٤ دعا قسطنطين إلى مجمع في القسطنطينية حضره ٣٢٨ أسقفاً ولكن دون مشاركة أي بطريرك لذا سُمي «المجمع بلا رأس». حرّم هؤلاء الأيقونات ومن يدافع عنها بمن فيهم القديس يوحنا الدمشقي. رفضت الكنيسة رسمياً هذه القرارات فتجددت الإضطهادات بعنف أكبر واستشهد البعض ونُفي وعُذّب البعض الآخر، وحوَّل الجيش الأديرة إلى ثكنات عسكرية فنزح أكثر من خمسين ألف راهب إلى إيطاليا. من شهداء هذه الفترة البار استفانوس الجديد (٢٨

الذين يُحبُّوننا في الإيمان. النعمةُ معكم أجمعين. آمين.

الإنجيل

(متى ٥:١٤-١٩)

قال الربُّ لتلاميذهِ أنتم نورُ العالم. لا يمكنُ أن تَخْفى مدينةٌ واقعةٌ على جبل* ولا يُوقَد سِراجٌ ويُوضعُ تحتَ المكيال لكِنْ على المنارة ليُضيءَ لجميع الذين في البيت* هكذا فليُضئْ نورُكم قدَّامَ الناس ليرَوْا أعمالَكم الصالحة ويُمجّدوا أباكم الذي في السموات. لا تظُنُّوا أنّي أتيتُ لأحُلَّ الناموسَ والأنبياءَ، إنّي لم آتِ لأحُلَّ لكن لأُتمّم* الحقَّ أقول لكم إنّهُ إلى أن تزولَ السماءُ والأرضُ لا يزولُ حرفٌ واحدٌ أو نقطةٌ واحِدةٌ من الناموس حتَّى يتمَّ الكلُّ* فكلُّ مَن يَحُلُّ واحدةً من هذه الوصايا الصغار ويُعَلِّمُ الناس هكذا، فإنَّه يُدعى صغيراً في ملكوتِ السموات. وأمَّا الذي يعمَلُ ويُعلِّمُ فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات.

تأمل

لا جرم اننا نقول إنَّا راغبون في ملكوت السموات، ولكننا لا نهتمّ بما يوصلنا إليه. إنَّا لا نريد أن نكابد أقلّ تعب لأجل حفظ وصايا الرب وتطبيقها، ولكننا مع ذلك نتوهّم بزيغ أفكارنا أنَّا

تشرين الثاني) وإندراوس الكريسي (١٧ تشرين الأول) وهو غير القديس اندراوس الكريتي كاتب الأناشيد والقوانين.

إلا ان الرب الذي وعد بأنه لن يترك كنيسته عمل من خلال الإمبراطورة إيريني التي كانت وصية على ابنها القاصر قسطنطين السادس وكان عمره عشر سنوات. دعت إيريني، وكانت مناصرة للأيقونات، إلى مجمع كنسي عُقد عام ٧٨٧ ترأسه البطريرك طاراسيوس القسطنطيني وحضره بطاركة إنطاكية والإسكندرية وأورشليم وممثلون عن البابا أدريانوس. بلغ عدد الأساقفة المشاركين في المجمع ٣٦٧ أسقفاً إلى جانب عدد كبير من الرهبان.

عقد المجمع ثماني جلسات وأصدر إثنين وعشرين قانوناً وألغى قرارات مجمع عام ٧٥٤ وأعلن قبول عدد من الأساقفة التائبين الذين اعترفوا بضلالهم. كما أعلنوا وجوب إكرام الأيقونات المقدسة وتقبيلها وإضاءة الشموع أمامها وتقديم البخور، وقالوا ان «كل إكرام يقدَّم للصورة إنما يعود إلى شخص المرسوم عليها، وكل سجود لهذه الصورة هو سجود إكرامي لمن تمثله»، وان إكرام الأيقونات هو من باب الإحترام والمحبة وليس من باب السجود العبادي. فالسجود يليق بالله وحده الآب والإبن والروح القدس. وشدَّدوا على شرعية وجود أيقونات للرب يسوع، إذ ان الأيقونة هي إثبات للتجسد. فالإله تجسد ولذلك صار بالإمكان رسمه، كونه صار إنساناً مثلنا. وأخيراً غبّط هذا المجمع الذين دافعوا عن الأيقونات مثل جرمانوس القسطنطيني (١٢ أيار) ويوحنا الدمشقي (٤ كانون الأول) وغريغوريوس القبرصي (٧ نيسان).

الحرب ضد الأيقونات عادت واستعرت في القرن التاسع مع الإمبراطور لاون الخامس الأرمني (٨١٣-٨٢٠) وخلفائه إلى أن تولت الإمبراطورة ثيودورة الحكم كوصية على ولدها ميخائيل الثالث. هذه دعت عام ٨٤٣ إلى مجمع برئاسة البطريرك ميثوديوس أكّد على تعاليم المجمع المسكوني السابع وتمَّ تنظيم زياح كبير للأيقونات في شوارع القسطنطينية في الأحد الأول من الصوم. ومنذ ذلك الحين سُمي هذا الأحد بأحد استقامة الرأي أو أحد الأرثوذكسية ويُقام خلاله في الكنائس زياح للأيقونات.

السجود للأيقونات

«لم يكن استعمال الأيقونات دارجاً في العهد القديم لأن الله لا يُرى. من يستطيع أن يصنع شبهاً لله الذي لا يُرى والذي لا جسد له ولا حدّ ولا شكل؟... فإن المحاولة لوضع شكل للإله قمّةٌ في الغباوة والكفر! لذلك لم يكن دارجاً في العهد القديم استعمال الأيقونات. غير أنه لما صار الله، بحشا رحمته، إنساناً بالحقيقة لأجل خلاصنا، ليس كما تراءى لإبرهيم بهيئة إنسان، ولا كما للأنبياء، بل أنه بالحقيقة صار إنساناً في الجوهر وعاش على الأرض وتردّد بين الناس واجترح المعجزات وتألم وصُلب وقام وصعد وحدث كل هذا بالحقيقة ورآه الناس ودوّنوه لتذكيرنا به وتعليمنا نحن الذين لم نكن حاضرين آنذاك، حتى إذا آمنّا بما لم نره ولم نسمعه، نحظى بتطويب الرب. ولكن لمّا كان لا يعرف الجميع الكتابة وليسوا بمتمرّنين على القراءة، فقد رأى الآباء أن يرسموا هذه التذكارات في أيقونات تمثل بعض المآتي الشريفة في موجز تذكاريّ. وإننا كثيراً ما لا نكون في حالة التفكير في آلام المسيح ونرى أيقونة صلب المسيح فننتقل بالذاكرة إلى الآلام الخلاصية ونرتمي ساجدين، ليس للمادّة، بل للمرسوم فيها، كما نحن لا نسجد لمادة

سننال كرامةً ومجداً يوازيان مجد وكرامة الذين «قاوموا الخطيئة حتى الموت» (عب ١٢:٤). لكن من ذا الذي يبقى في بيته قاعداً أو راقداً في أوان الزرع فيملأ حضنه أغماراً في ساعة الحصاد؟ من ذا الذي يحق له أن يقطف عنب كرمة لم يغرسها ولم يتعب فيها؟ ان الثمار لا يجنيها إلا الذين تعبوا فيها كما أنّ الكرامات والتيجان لا ينالها إلا الظافرون. فإنه قيل: «طوبى لذلك العبد الذي إذ يأتي سيّده يجده يعمل هكذا» (لو ١٢: ٤٣). وقيل أيضاً «إن أنت أحسنت التقدمة ولم تحسن القسمة تخطأ» (تك ٤:٧). أمّا نحن فإذا ظننا أنّنا أتممنا وصية واحدة (لم أقل أتممنا بل ظننا أننا أتممنا: لأنّ كل الوصايا مرتبطة بعضها ببعض بحسب تعليم الكتب المقدسة الصحيح بحيث ان من يحل واحدة منها يحل ضرورة معها سائر الوصايا) فمع ذلك لا نخشى الانتقام لأجل الوصايا التي تجاوزناها بل نرجو المكافأة لأجل الوصية الواحدة التي عملنا بها.

ألا تعلمون انّ الذي يؤتمن على عشر وزنات فيمسك عنده واحدة أو إثنتين منها ويرد الباقي لا يعد أميناً لكونه رد القسم الإنجيل ولا لمادة الصليب، بل لما يوحيان به إلينا. فما الفرق بين صليبٍ لا يحمل مثال الرب وآخر يحمله؟ كذلك قل عن مثال والدة الإله. فإن الإكرام المقدّم لها يرتفع إلى المتجسد منها. كذلك أيضاً إنّ مآتي الرجال القديسين يرفعنا إلى الشجاعة والغيرة والتشبّه بفضائلهم وتمجيد الله. وكما قلنا، إن الإكرام الموجّه إلى العبيد المخلصين للسيد لبرهانٌ على حسن النية نحو السيد العام وإكرام الأيقونة يعود إلى مَن تمثّل».

القديس يوحنا الدمشقي

كتاب هوشع النبي

النبي هوشع واحد من أقدم أنبياء العهد القديم الذين خلّفوا لنا آثاراً مكتوبة. وتشير الآية الأولى من الكتاب إلى أنّ هوشع تنبّأ في عهد يربعام بن يوآش، ملك إسرائيل، أي في النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد. والواضح أنّ هوشع توجّه بنبوءته إلى «إسرائيل»، أي إلى المملكة الشمالية، وتُدعى في الكتاب أيضاً «إفرائيم» أو «يعقوب» (هو١٢: ٣)، وهي إيّاها التي كان النبي عاموس قد تنبّأ بعقابها ودمارها، وذلك قبل هوشع بقليل. وتُثبت الأحداث التاريخية تحقّق ما ذهب إليه عاموس، ومن بعده هوشع، إذ إنّ الأشوريين دمّروا، نحو العام ٧٢٢، المملكة الشماليّة، وسبوا عدداً من أشرافها.

نبوءة هوشع، إذاً، هي في الدرجة الأولى نبوءة دمار: «لأنني، بعد قليل، أُعاقِب بيتَ ياهو على دم يزرَعيلَ وأُبيدُ مملكةَ بيتِ إسرائيلَ» (٤:١). ويعزو النبي القرار الذي اتخذه الرب بتدمير مملكة الشمال إلى خيانتها عهوده، والاستعاضة عنه بآلهة الشعوب الأخرى. والحقّ أنّ النبي هوشع هو أول من استخدم صورة الزنى للتعبير عن انصراف إسرائيل عن الرب ولجوئه إلى الآلهة الكنعانية وآلهة الشعوب الأخرى المحيطة به. فكتاب هوشع يُفتتح على طلب الربّ من النبي أن يتّخذ لنفسه زوجةً زانية، وذلك للتعبير، رمزياً، عن زنى الشعب الإسرائيليّ، أي التحاقه بآلهة الخصب الوثنيّة معتبراً أنها هي التي تمدّه بالخيرات: «لأنها قالت أنطلق وراء عشاقي الذين يعطونني خبزي ومائي وصوفي وكتّاني وزيتي وشرابي» (٢:٧). أمّا اختيار هذه الصورة القويّة فقد يكون مردّه طقوس الدعارة المقدّسة التي كانت شعوب الشرق، جميعها، تمارسها في هياكلها، وذلك اقتناعاً منها بأنّ هذه الطقوس تساهم في انتظام دورة الطبيعة وتحقّق الخصب.

هوشع، إذاً، يقترن بزانية. هو في موقع الرب الذي قطع للشعب عهداً، فما كان من هذا الشعب إلاّ «الزنى»، أي التخلّي عن الربّ والارتحال إلى الآلهة الأخرى. النبيّ، إذاً، ملتصق وجودياً بالإله الذي يعمل على نقل كلمته. فهو لا يكتفي بتبليغ هذه الكلمة من طريق المشافهة والكتابة، بل يُفصح، في سلوكه وحياته، عن الرسالة التي يودّ هذا الإله نقلها، حتى لو بدا ذلك غير مألوف في عيون معاصريه الذين غالباً ما يستهجنون تصرّفاته معتبرين إيّاها مدعاةً للتهكّم.

يُجمع شارحو الكتب المقدّسة على تسمية مثل هذا السلوك أفعالاً «رمزية». بيد أن «الرمز» هنا يجب أن يُفهم في معناه القويّ العميق لا بوصفه علامةً سطحيّة تنحصر وظيفتها في مجرّد الدلالة على شيء آخر، كإشارة المرور، مثلاً، التي ترمز بألوانها إلى توقّف السيارات أو عدمه. فالنبي لا يكتفي بالإشارة إلى زنى إسرائيل، بل يختبر في جلده مثل هذا الزنى، عبر التصاقه هو بزانية. ولعلّ قوة هذا الرمز وما يتّصف به من حميميّة، هي ما جعلته مفصلاً

الأكبر، بل يحكم عليه انه قليل الأمانة وطماع لكونه اختلس الجزء الأصغر؟ ولكن ما لي والاختلاس على حين نرى ان الذي أُودع وزنة واحدة ثم ارجع الوديعة من غير أن ينتقص منها شيئاً قد عوقب لأنه لم يزد على ما أُعطِيه ولم يربح به (متى ٢٥:٢٥ و٣٠). هكذا من قدّم لأبيه الكرامة الواجبة مدّة عشر سنوات ثم ضربه بعد ذلك ضربة واحدة لا يمدح كمن أكرم والده بل يحكم عليه كضارب أبيه. قال الرب: «اذهبوا وتلمذوا كل الأمم وعلّموهم – لا أن يحفظوا هذا ويهملوا ذاك – بل أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به» (متى ٢٨: ١٩ و٢٠). ولو لم تكن كل الوصايا ضرورية للخلاص لما كُتبت كلّها، ولما أُمرنا بحفظها كلها حتماً. ثم أيّة فائدة اجنيها من جميع أعمالي الصالحة إذا حُكم علي بالهلاك في جهنم لكوني «دعوت الأخ أحمق» (متى ٢٢:٥). كذلك ماذا يفيد الإنسان أن يكون حرًّا من عبودية كثيرين إذا كان عبداً لواحد فقط؟ وقد كُتب: «كل من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة» (يو٨:٣٤). أخيراً ماذا يستفيد الخالي من أسقام كثيرة وجسمه مبتلى بسقم واحد؟

القديس باسيليوس الكبير

أساسيًّا في التعبير عن علاقة الله بالشعب. فلقد حذا الأنبياء الآخرون، ولا سيّما حزقيال، حذو هوشع في استخدام صورتَيْ الزواج والزنى للتعبير تباعاً عن عهد الله مع شعبه وابتعاد هذا الشعب عن إلهه. أما يسوع، في الأناجيل، فيلجأ إلى صورة العروس أو الختن، للدلالة على العلاقة الحميميّة التي تربطه بالكنيسة (مت ٩: ١٥؛ يو ٣:٢٩). وعند الرسول بولس (أف ٥: ٢٥–٣٣) أنّ زواج المسيح بالكنيسة، الذي تحقّق على الصليب، هو النموذج الذي يليق بكل زواج مسيحي.

غير أنّ رسالة الدمار التي ينقلها هوشع ليست المظهر الوحيد من مظاهر كتابه. فهو، بخلاف عاموس، يعبّر بكثافة عن الحب العميق الذي يكنّه الرب لشعبه الزاني، رغم عصيانه، هذا الحب الذي سيحدو به إلى افتتاح مرحلة جديدة مشرقة مع هذا الشعب، وذلك بعد تأديبه: «لذلك هاءنذا أستغويها، وآتي بها إلى البرية، وأخاطب قلبها، ومن هناك أردّ إليها كرومها... فتجيب هناك كما في ايام صباها، وفي يوم صعودها من مصر... فإني أُزيل أسماء البعليم (الآلهة) من فمها... وأقطع لهم عهداً في ذلك اليوم مع وحوش البرّية وطيور السماء... وأكسر القوس والسيف والحرب من الأرض، وأريحهم في أمان، وأخطبك لي للأبد» (٢: ١٦–٢١). بخلاف الصورة السلبيّة التي تنقلها إلينا نصوص أخرى في العهد القديم عن حقبة البرّية، أي المرحلة التي تلت خروج إسرائيل من أرض مصر، بوصفها حقبة تمرّد وعصيان، فإنّ كتاب هوشع لا يحفظ إلاّ الطابع الإيجابي من هذه الحقبة باعتبار إسرائيل لم يعرف فيها أيًّا من آلهة الشعوب الأخرى، بل كان اتكاله على الرب فقط. لذا، تصبح البرّية رمزاً للمحبة الأولى التي جمعت بين الله وشعبه، حتى أنّ الرب، بعد تطهيره هذا الشعب بالعقاب، سيعيده إلى البريّة، إلى المكان الذي يخلو من أيّ شيء إلاّ من حضور الرب وحده، ويقطع له هناك العهد من جديد. البريّة، إذاً، ليست مكان التجربة فحسب، بل أيضاً المكان الذي تنبثق منه علاقة مع الله جديدة. وقد حفظ التقليد النسكيّ صورة البرّية هذه، بوصفها الموضع الذي يخرج إليه الرهبان ليطلبوا وجه الرب دون سواه. فالبرّية خلاء كامل. وهي، تالياً، الموضع الأمثل لظهورات الله. مفهوم البرّية هذا يضرب جذوره في كتاب هوشع.

العهد الذي يعيد الرب قطعه لشعبه، في البرّية، عهد سلام. فإذا كانت الحرب مع الأمم الغريبة مجلبةً للعقاب على الشعب، فلا بدّ من أن تتّسم مرحلة ما بعد العقاب بسلام كامل يرافقه «ارتياح» في الأرض، أي عدم تشتّت. عندها «يخطب» الرب شعبه من جديد. بحسب القاموس اللغويّ والممارسة في المجتمع العبريّ القديم، كلمة «خطب» المستعملة هنا لا تنطبق إلاّ على الفتاة العذراء. الله، إذاً، سيمنّ على شعبه الزاني بالصفح خالعاً عليه عذريّة جديدة. تحضرنا هنا، طبعاً، صورة قدّيسات، من مريم المجدليّة إلى مريم المصريّة، استعدن عذريّة نفوسهنّ بالتوبة. هذا كلّه إنّما يعبّر عن مدى تأصّل فكر العهد الجديد وتراث الكنيسة الرهبانيّ، من بعده، في سِفر هوشع النبي.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb